طلقة (٢١)

رتبة مبارك (فريق) بعد ترقيته فى فبراير 1974

شرفي العسكري . يمنعنى يا مستر!

كانت المسألة معدة سلفاً وعلى أعلى مستوياتها، وأخذت وسائل الإعلام علماً بأن الشاذلي عاد إلى لندن سفيراً لبلاده هذه المرة وبعد معركة أثبت فيها أن للعرب قوتهم إذا ما تم التخطيط والإعداد بالأسلوب العلمي الجاد.. احتشد حول الشاذلي كوكبة من الصحافيين يمطرونه بالأسئلة وأغلبها يصب في اتجاه واحد:

- سعادة السفير ما هي حقيقة اتهامك بقتل الأسرى الإسرائيليين خلال حرب أكتوبر؟

وكان جوابه بكل الثقة والهدوء والابتسامة التي هي علامة من علامات وجهه في أغلب الأحوال:

- شرفي العسكري ومعتقداتي الدينية تمنعني من هذه الأفعال غير الانسانية، وأنا انتهز هذه الفرصة أمامكم جميعاً وأطالب بلجنة تحقيق دولية لكشف هذه الأكاذيب أمام العالم كله!

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الهجوم والاتهامات للشاذلي لكنهم نشروا كتيباً كان قد وزعه خلال الحرب وعنوانه عقيدتنا الدينية طريقنا إلى النصر واقتطعوا منه بعض الآيات القرآنية التي تحض على القتال واعتبروها تحريضاً لقتل وسفح دماء اليهود.

واستغلت وسائل الإعلام البريطانية حادثة سرقة نفذتها سيدتان مصريتان من محل يهودي في نشر أخبار محرفة بأن حرم وزير السياحة المصري وحرم السفير متهمتان بسرقة المحل التجاري وأقام الشاذلي دعوى ضد الاذاعة البريطانية وحصل على حكم باعتذارها، واعتذرت بالفعل.

كان السفير الشاذلي يحارب اللوبي الصهيوني فهو ينظر اليه كواحد من أبطال أكتوبر الأفذاذ الذين حطموا أسطورة الغرور الإسرائيلي وتفوق جيشه اللامحدود، ولأنهم يعرفون جيداً دور هذا الرجل أكثر من غيره في التخطيط والاعداد للحرب،

ثانياً عندهم ملف قديم بتعاونه وصداقته وقت أن كان ملحقاً عسكرياً مع الأحزاب المعادية للصهاينة والمساندة للقضية العربية، وعلى جانب آخر كانت حربه مع السادات لم تتوقف، يكفي أن الشاذلي وهو بطل الحرب شاهد تكريم القادة تلفزيونياً في مجلس الشعب على يد السادات وتم تجاهله تماماً ولو حتى بذكر اسمه، لكنه للأمانة أرسل قلادة إلى الملحق العسكري لكي يقدمها للسفير سراً.

فاصل ونواصل

في مذكرات المشير الجمسي نكتشف أمراً في غاية الأهمية، هو عبارة عن قرار بقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٩ لتكريم قادة القوات المسلحة خلال حرب أكتوبر والاستفادة من خبرات الأحياء منهم وجاء في مذكرة القانون: أن الدول العريقة في الجندية وأصولها تكرم قادتها العسكريين الذين حققوا لها النصر في الحروب المصيرية لأوطانهم بأسلوب يتناسب مع عظمة أعمالهم ويعكس مدى وفاء وتقدير شعوبهم لبذلهم وعطائهم وهناك الكثير من الأمثلة في الدول الكبرى غربية كانت أم شرقية على تقدير وتكريم كبار قادتها وأبطال حروبها والاستفادة بخبراتهم مدى الحياة، وبالنسبة لمصر فقد كانت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ نقطة تحول تاريخية على المستويين الوطني والقومي وكانت أول مواجهة حقيقية خلال مراحل الصراع العربي الإسرائيلي بين الجيوش العربية والجيش الإسرائيلي ومهدت نتائج هذه الحرب الطريق أمام تحرير الأرض العربية المحتلة وتحقيق السلام القائم على العدل في المنطقة العربية وقد رقي اقتراح مشروع القرار بقانون تعبيراً عن شكر الشعب وعرفانه للقوات المسلحة وقادتها خلال حرب أكتوبر ويهدف هذا القانون إلى جانب تقدير وتكريم قادة هذه الحرب الظافرة إلى تحقيق وضع خبراتهم النادرة في خدمة القوات المسلحة والدولة مدى حياتهم وهي الخبرة التي اكتسبوها خلال خدمتهم الطويلة بالقوات المسلحة، حيث عاصروا نشأتها الحديثة والتطورات التي طرأت عليها والمعارك المتعددة التي خاضتها

وقد توجت هذه الخبرة بما أثبتوه من قدرة عالية في فنون القيادة والقتال خلال عمليات حرب أكتوبر وتحملهم أعباء مسؤولياتهم الجسام أثناء الاعداد للقوات والتخطيط للعمليات وأثناء ادارة أعمال القتال بكل الكفاءة والاقتدار.

ويقضي القانون بأن يستمر الضباط الذين كانوا يشغلون وظائف رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وقادة الأفرع الرئيسة في حرب أكتوبر في الخدمة بالقوات المسلحة وأن يقوم هؤلاء بتقديم المشورة وابداء الرأي عندما يطلب منهم ذلك في الموضوعات العسكرية ذوات الأهمية الخاصة، وصدر القانون بالفعل ولكنه لم ينفذ، بل على العكس رأينا العقل المدبر للحرب يهان ويتم اهماله وتجاهله في التكريم والتقدير، مع ملاحظة أن مشروع القانون يخص رئيس العمليات ولا يذكر رئيس الأركان وهو المنصب الذي كان الشاذلي يشغله، والقانون صدر بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وقد عارض الشاذلي هذه الاتفاقية.

المواجهة

وافق الشاذلي أن يكون سفيراً وهو لم ينكر المزايا العديدة التي سيفوز بها من خلال المنصب، لكنه من داخله يدرك أن السادات يتربص به ولن يتركه في حاله وهو لا شعورياً يشعر بالظلم والاضطهاد مهما قدموا له، ولكنه في ذات الوقت يؤمن بشكل قاطع أن يؤدي عمله في أي موقع على أتم وجه، والا يخفي الحقيقة، والدبلوماسية تلعب بكل الأوراق. وقد تلعب على عدة حبال ولها مبرراتها ويبدو أن الصحافي المخضرم اللبناني سليم اللوزي كان يعرف هذا جيداً وكان وقتها رئيساً لتحرير مجلة الحوادث اللبنانية وتحدث اليه الشاذلي بصراحته المعتادة وقال أن هناك مؤامرة تدبر لعزل مصر عن الأمة العربية مع ملاحظة أن هذا الحديث جرى في عام ١٩٧٤، والمقاطعة العربية لمصر جرت بعد معاهدة كامب ديفيد في عام ١٩٧٩، أي أنها كانت نبوءة مبكرة جداً تكشف الحس السياسي لهذا

الرجل العسكري وقد جاء ذلك بعد أشهر قليلة من توليه مهام منصبه كسفير.

وتحدث عن الثغرة وضرورة تنويع السلاح وبعدها بأيام التقى مع مجموعة من الطلبة العرب وأكد مجدداً على وجود تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

وأعادت جريدة السفير اللبنانية نشر بعض أجزاء من حديث الشاذلي وهي تابعة لمجلة الحوادث وتصدر أيضاً عن دار الصياد، وأبرزت في عنوان كبير انتقاد الشاذلي للسادات، الأمر الذي تحركت وزارة الخارجية على أثره وطلبت استدعاء الشاذلي للقاهرة على وجه السرعة للتحقيق وحضر بالفعل والتقى إسماعيل فهمي وزير الخارجية في هذا الوقت وهو نفسه الوزير الذي سيعلن استقالته المدوية بعد كامب ديفيد. وفي لقاء مع التلفزيون البريطاني انتقد الشاذلي رحلات كيسنجر المكوكية بين مصر وإسرائيل، وطالب بأن يأتي الحل من جنيف وعدم هيمنة أميركا على الحل السلمي.

ثم استطاع الشاذلي أن يكسب احترام المجتمع البريطاني في مواجهة جرت بينه وبين السفير الإسرائيلي واشترط أن يكون كل واحد منهما في مكان بعيد عن الآخر وكأنه بهذا الحديث رد المكائد التي دبرها اللوبي الصهيوني كلها وعلى حساب سفير الصهاينة نفسه.

ومن داخل السفارة نفسها تأتي شهادة لرجل له وزنه وقيمته وهو المفكر والدبلوماسي الشهير مصطفى الفقي، وقد نقلت هذه الشهادة عن كتاب مصطفى عبيد العسكري الأبيض، يقول الفقي:

عندما تسلم الفريق الشاذلي عمله في السفارة استقبلناه بقلق شديد ومخاوف مبررة، فالرجل معروف بصرامته العسكرية وقد لا تكون ادارته لبعثة دبلوماسية كبيرة على هذا النحو المطلوب ولكننا فوجئنا بعسكري مصري مشرف يتحدث بلغة انكليزية طليقة تفوق في جودتها عشرات السفراء المدنيين وبحسه

الدبلوماسي تنبأ لوزيرة التعليم البريطانية بأنها ستكون في الصدارة وقد كانت بالفعل بعد سنوات وأصبح اسم «مارغريت تاتشر» يتصدر المشهد السياسي العالمي بأكمله وعرفت بالمرأة الحديدية لذلك دعاها هي وزوجها إلى عشاء رسمي بالسفارة كما دعي «أسقف كانتبري» ومعه كبار شيوخ الأزهر في المركز الإسلامي وهو تفكير ينم عن سعة الأفق والفهم البعيد لمسألة الوحدة الوطنية وتقديم صورة راقية عن الإسلام وسماحته وقد ساهم في نشر الإسلام بصورة جيدة في انكلترا.

وهكذا تحول منفى الشاذلي الدبلوماسي إلى نجاح مدوي لشخصه وبلده وعروبته وإسلامه، كان الهدف ابعاده وكانت النتيجة اقترابه أكثر من هموم وقضايا بلده في قلب انكلترا حتى أصبح عميداً للسفراء العرب في لندن خلال زمن قياسي، وأقام أنشطة عديدة، ونجح في قلب السحر الصهيوني على الساحر، وأن يكتسب احترام العدو قبل الصديق في عاصمة الضباب.

كان هناك عن بعد ينظر إلى مصر الحبيبة بعين القلب والعقل وهو نفس منهجه كرجل عسكري يعرف ماله وما عليه وبدلاً من أن تأتي المكافأة من السادات للشاذلي الدبلوماسي بعد أن أبى واستكبر أن يقدمها للشاذلي البطل العسكري جاءت هدية أخرى من السادات على لسان إسماعيل فهي وزير الخارجية:

* يا سعادة الفريق مصر تقدر نجاحك الكبير في لندن في هذا الوقت القصير وتثمن جهدك العظيم، لذلك قررت تعيينك سفيراً لمصر في البرتغال!!

البرتغال!!.. قالها الشاذلي مندهشاً ومتعجباً، وكانت المبررات السلطة هناك في البرتغال عسكرية وأنت بخلقيتك العسكرية تستطيع أن تتعامل معها.

لم يكن في البرتغال جالية مصرية بالمعنى الذي يدعو إلى وجود سفارة تقوم على خدمة هؤلاء، ولو أن السفارة مطلوبة في كل مكان وفي كل وقت، ولاحظ أن

التوقيت تم في لحظات مناسبة، حيث قامت الثورة في البرتغال عام ١٩٧٤ وقررت منح الدول الإفريقية التي كانت تحتلها استقلالها، لذلك قررت مصر إعادة العلاقات الدبلوماسية معها، وأن يكون الشاذلي هو المفتتح فهل يقبل هذا الإبعاد الجديد وهذا المنفى الدبلوماسي المصنوع خصيصاً لأجله، فالدولة كانت من الممكن أن ترسل سفيراً جديداً يجيد البرتغالية، لكنها اختارت الشاذلي دون غيره، ووراء الحكاية ألف حكاية وحكاية!

obeikandl.com